العمارة المائية بالأندلس مظاهرها العمرانية ودلالاتها الحضارية دراسة تحليلية حضارية

أ.د. منى حسين القحطاني

أستاذ التاريخ الإسلامي في قسم التاريخ وعلم الآثار، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

(أرسل بتاريخ 25 /9/ 2025، وقبل للنشر بتاريخ 15/ 10/ 2025)

المستخلص:

يتناول هذا البحث دراسة العمارة المائية في الأندلس بوصفها من أشهر الشواهد الحضارية التي عكست عناية المسلمين بالماء باعتباره عنصرًا أساسًيا في العمران والحياة الاجتماعية، وقد اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بالرجوع إلى ما ورد في المصادر والروايات؛ للكشف عن طرق جلب المياه وتوزيعها وماهية الطرق المستخدمة التي دمجت بين الخبرة والفنون الجمالية. أظهرت الدراسة أنّ الأندلسيين قد بلغوا مكانة مميزة في استثمار مواردهم المائية من أنهار وعيون وآبار، وأنهم أنشؤوا شبكة محكمة من القنوات والسواقي والقناطر؛ مما يسّر انتقال الماء إلى المدن والأرياف على السواء، كما تبيّن أنّ العمارة المرتبطة بالماء شملت الحمّامات العامة والخاصة والسقايات والأسبلة والبرك والنافورات التي زُيّنت بها القصور والحدائق، فغدت بذلك مظهرًا من مظاهر الرقي الحضاري، وجمعت بين الوظيفة النافعة والفنون الجمالية. كذلك ظهر أثر هذه العمارة في الحياة العامة؛ إذ ساعدت في حفظ الصحة العامة وتيسير أعمال الزراعة والصناعة، فضلًا عن دورها في ترسيخ قيم الطهارة والنظافة التي حثّ عليها الدين، إلى جانب مكانتها الحضارية التي أضفت على مدن الأندلس طابعًا متميزًا وهوية معمارية فريدة.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، العمارة المائية، شبكات المياه، الحمّامات، المدن.

Water Architecture in al-Andalus: Urban Features and Civilizational Significance

Prof. Muna bint Hussein Al-Qahtani

Full Professor of Islamic History in the Department of History and Archaeology, College of Humanities and Social Sciences, Princess Nourah bint Abdulrahman University

(Submitted on 25/9/2025, and accepted for publication on 15/10 /2025)

Abstract:

This research deals with the study of water architecture in Andalusia as one of the most famous civilizational evidence that reflected the Muslims' care for water as a basic element in urbanism and social life. The study showed that the Andalusians have reached a distinguished position in the investment of their water resources such as rivers, springs and wells, and that they have established a tight network of canals, waterways and archways, which facilitated the movement of water to both cities and countryside. The impact of this architecture was also evident in public life, as it helped to maintain public health and facilitate agriculture and industry, as well as its role in consolidating the values of purity and cleanliness urged by religion, in addition to its civilizational status, which gave the cities of Andalusia a distinctive character and a unique architectural identity.

Keywords:Andalusia, Water Architecture, Water Networks, Hammams, Cities.

مقدمة

تُعدّ الأندلس من أشهر الحواضر الإسلامية التي تميزت بثراء عمراني فريد جمع بين الإبداع الفني والدقة العملية، ومن أشهر ما تجلّى في عمرانها تلك المنشآت المائية التي أظهرت الوعي الحضاري للمجتمع الأندلسي، فقد شكّلت المياه مظهرًا أساسيًا في تشكيل العمران؛ ليس فقط باعتبارها موردًا طبيعيًا ضروريًا للحياة، بل بوصفها عنصرًا موجهًا لطبيعة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والفكري.

وقد نشأت العمارة المائية بالأندلس في نظام جغرافي متنوع ومناخ متباين؛ مما جعل الحاجة ملحة لتطوير شبكات متقدمة لضبط موارد المياه وتوزيعها، فتنوعت أشكال هذه العمارة بين القنوات والجسور والسواقي والحمامات والبرك والنوافير، وجميعها جسدت قدرة الإنسان الأندلسي على التكيّف مع بيئته وتطويع عناصرها بما يخدم احتياجاته المتعددة. ومع امتداد الحكم الإسلامي في الأندلس، اكتسبت هذه العمارة صبغة مميزة مزجت بين ما حمله الفن الأموي من خبرات معمارية شامية وما أبدعته البيئة من ابتكارات، ونتيجة لهذا التجانس الخلاق؛ أضحت العمارة المائية أحد أرقى الشواهد على التبادل الحضاري بين الأندلس والمشرق الإسلامي.

ولم تقتصر هذه المنشآت على أداء الوظائف الخدمية البحتة، بل تحولت إلى ركيزة من ركائز الاستقرار الاقتصادي، فقد ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالزراعة والتجارة، وساعدت في ازدهار الأسواق وتنوع الأنشطة الاقتصادية؛ الأمر الذي جعلها عاملًا مهمًا في تدعيم مكانة الأندلس في العالم الإسلامي، وفي تعزيز صلاتها التجارية والثقافية مع الدول المجاورة. وكان لهذه العمارة أثر بالغ في الحياة الاجتماعية؛ إذ مثّلت الحمامات العامة والبرك والسقايات مراكز للتلاقي ومظاهر للنظام العام والنظافة، فضلًا عن دورها في ترسيخ قيم الجماعة والانضباط الحضري، وهكذا أضحى الماء في الأندلس عنصرًا يجمع بين الفائدة العملية والتأثير الاجتماعي.

أما على الصعيد الجمالي فقد شكّلت المنشآت المائية مجالًا رحبًا للتعبير الفني والدلالي؛ إذ زخرفت النوافير والبرك بالزليج والرخام، وشكلت تخطيطات الحدائق المائية بأسلوب يعكس الذوق الرفيع والوعي الجمالي للحضارة الأندلسية، ومن ثمّ غدت هذه العمارة تجسيدًا للتكامل بين الهندسة والفن، وبين الحاجة المادية والدلالة الحضارية، وقد تميّزت العمارة المائية كذلك بكونها شاهدًا على روح التنظيم والدقة الإدارية؛ حيث ارتبطت إدارتها بمؤسسات المجتمع والدولة معًا بما يظهر قدرة الأندلسيين على وضع أنظمة محكمة لتوزيع المياه وضبطها بما يحقق العدالة بين السكان، وهو ما منح هذه العمارة قيمة مضاعفة بوصفها مرآة للنظام السياسي والاجتماعي في آن واحد.

ومن هنا تنبع أهمية دراسة العمارة المائية في الأندلس، فهي ليست مجرد موضوع معماري أو تاريخي، بل مدخلًا لفهم طبيعة المجتمع الأندلسي ومظاهر حضارته، كما أنها تكشف عن التجانس بين الجانب العمراني والاقتصادي والاجتماعي والفكري في تشكيل تجربة حضارية متميزة، ومن ثمّ فإن هذا البحث يسعى إلى استجلاء مظاهر هذه العمارة ودلالاتها الحضارية باعتبارها أحد أشهر إنجازات الحضارة الإسلامية.

أهداف البحث

الكشف عن طبيعة العمارة المائية بالأندلس بوصفها مظهرًا حضاريًا يعكس مستوى التقدم العمراني والمعرفي.

1. تحليل المعاني العمرانية للمنشآت المائية وإظهار أثرها في تنظيم الحياة اليومية بالمدن والحواضر الأندلسية.
2. تتبع المقاصد الحضارية والفكرية التي حملتها هذه العمارة، وما عكسته من قيم جمالية ووظيفية.
3. إبراز العلاقة بين العمارة المائية والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الأندلسي.
4. إظهار أثر التجانس الحضاري بين المسلمين وغيرهم في إثراء فنون العمارة المائية بالأندلس.

أهمية البحث

1. يسلّط الضوء على جانب معماري لم يحظَ بالعناية الكافية في الدراسات الأندلسية المقارنة.
2. يساهم في إظهار العمارة المائية كأداة لفهم طبيعة الحياة الحضرية بالأندلس.
3. يكشف عن المقاصد الحضارية الجمالية التي أضفتها هذه المنشآت على البيئة العمرانية.
4. يضيف إلى الدراسات الحضارية منظورًا تاريخيًا جديدًا يعكس توافق العمران والفكر والفن.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الكشف عن طبيعة العمارة المائية بالأندلس باعتبارها إحدى الشواهد العمرانية التي لم تقتصر وظيفتها على تلبية الحاجات المعيشية، بل تجاوزت ذلك لتوضح أبعاد حضارية وثقافية مرتبطة برؤية المجتمع الأندلسي للنظام العمراني وللجمال المعماري، ومن هنا يطرح البحث إشكالية أساسية تتمثل في فهم الكيفية التي اندمجت بها هذه المنشآت المائية في الهيكل العمراني، وما حملته من معانٍ حضارية تظهر تطور الفكر العمراني والذوق الفني في تلك الحقبة.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي القائم على استقراء المصادر الأصلية التي أرّخت لعمران الأندلس، مع توظيف المنهج الوصفي في تحليل أنماط العمارة المائية وأشكالها، إضافة إلى المنهج المقارن الذي يتيح موازنة المظاهر العمرانية في الأندلس بما كان عليه الحال في المشرق الإسلامي.

أقسام البحث:

للإلمام بمختلف جوانب الموضوع؛ تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شبكات المياه وأساليب جلبها وتوزيعها.

المبحث الثاني: المنشآت المائية في العمران الأندلسي.

المبحث الثالث: الأبعاد الحضارية والاجتماعية للعمارة المائية.

المبحث الأول: شبكات المياه وأساليب جلبها وتوزيعها

في الحقيقة تعد شبكات المياه وأساليب جلبها وتوزيعها نافذة لفهم العمارة المائية في الأندلس الإسلامية؛ حيث ترتبط المعرفة الهندسية ارتباطًا وثيقًا بتنظيم المدن وتلبية احتياجات السكان والزراعة على حد سواء، فقد اعتمد المهندسون والكتّاب في إدارة الموارد المائية على إتقان حفر القنوات والمجاري وضبط مجاري الأنهار وفق مواسم الفيضان والجفاف، فضلًا عن توظيف علم الفلك والهندسة العملية في إقامة النواعير والقناطر والصهاريج بما يضمن انسياب المياه وتوزيعها على المدن والحقول، وأبدع العرب في تطوير أنظمة مبتكرة لرفع المياه ونقلها، مستفيدين من الطبيعة الجغرافية والموارد المتاحة، فتجلت براعتهم في تأسيس الحواضر الجديدة وحل مشكلات ندرة المياه؛ حيث أصبحت شبكات المياه عنصرًا أساسيًا في الهيكل العمراني، وتعبيرًا عن قدرة الأندلسيين على التكيف مع البيئة واستثمارها في خدمة الحياة اليومية والعمرانية والدينية على حد سواء.

وشكّلت المعارف الهندسية في الأندلس قاعدة راسخة لأعمال الدولة ومتطلبات المجتمع؛ إذ ارتبطت بوجه خاص بتنظيم شبكات المياه وتشييد المنشآت العمرانية، وقد عُدَّ الإلمام بالزراعة وطرائق المساحة شرطًا أساسيًا لكفاءة الكتّاب والعاملين في شؤون الإدارة لما يرد في أعمالهم من مسائل تتصل بالري وتوزيع المياه، وقد أكد أهل الخبرة أن إتقان هذه الوظائف لا يتحقق إلا بالمعرفة الدقيقة

بسبل جلب المياه وحفر القنوات والمسارب[1] وردم المهاوي وضبط مجاري الأنهار تبعًا لفصول فيضانها ونقصانها، إلى جانب الإلمام بعلم الفلك المرتبط بمواقيت الزرع وبالهندسة العملية في قياس الأشكال ونصب القناطر والجسور وتشغيل الدوالي والنواعير[2] وغيرها (العلي، 1974).

وأدخل العرب إلى الأندلس جملةً من أساليب الري التي كان لها أثر بالغ في تطوير الزراعة والعمران ومنها القنوات الجوفية والنواعير، إلى جانب الشادوق الذي اعتمد على قوة دفع المياه لرفعها، وكانت القنوات عبارة عن مجارٍ مائية تحت الأرض تُنشأ بربط سلسلة من الآبار بعضها ببعض، وتُستخدم لاستخراج المياه الجوفية ونقلها إلى مسافات بعيدة؛ الأمر الذي أتاح تزويد المدن والحقول بالماء على نحو منتظم، وساعدت هذه الوسائل في تكثيف الزراعة بالأندلس وجنوب أوروبا، وأصبحت مصطلحاتها العربية جزءًا من القاموس الإسباني مثل الساقية (Acequia) والناعورة (Noria) والسد (Azud) والبركة(Alberca) ، وهو ما يعكس أثر العمارة المائية الإسلامية؛ ليس في تلبية المتطلبات العمرانية والزراعية، فحسب بل في ترك بصمة حضارية واضحة على التراث الأوروبي في مجال تقنيات الري وتنظيم المياه (اليوزبكي، 1981).

شهدت الأندلس في عصر الإمارة الأموية نشوء عدد من الحواضر الجديدة مثل مجريط[3] (مدريد) ومُرْسِيَةُ[4] وطلمنكة[5]، وقد أُنشئت مجريط بدايةً لتكون حصنًا ذا وظيفة عسكرية في موقع متقدم يجاور الثغور العليا، غير أنّها سرعان ما تطورت إلى مدينة ذات شأن، ويكشف اسمها العربي عن طبيعتها المائية؛ إذ يتألف من لفظتي "مجرى" و"يط" أي المدينة التي تكثر فيها القنوات الجوفية. وشكّلت ندرة المياه في مدينة **مجريط (مدريد)** إحدى أشهر المشكلات التي واجهت العرب عند تأسيسها، وهو ما دفعهم إلى بذل جهود هندسية متميزة لتأمين هذا المورد المائي، وقد وظّفوا خبراتهم في استنباط المياه من باطن الأرض، فابتكروا آلات لرفعها شبيهة بالسواقي التي عُرفت على ضفاف الأنهار الكبرى في المشرق، وهي الآلات التي اصطلح على تسميتها بـ "**النواعير**"، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل عمدوا إلى تزويد المدينة بجزء من مياه بحيرة صناعية أُنشئت عند سفوح جبل (وادي الرمل)؛ حيث جُمعت مياهها من آبار غزيرة جرى حفرها في المنطقة، ثم نُقلت عبر قناة طويلة تنحدر من مستوى أعلى من موقع المدينة بما أتاح انسياب المياه إليها بسهولة. ويُعد هذا النظام من أرقى الابتكارات الهندسية التي عرفتها الأندلس في العصور الوسطى؛ إذ جسّد القدرة العربية على

(1) المسارب: " مجاري الماء إلى الروض ..." (ابن قتيبة، 1984، 1/364).

(2) النواعير: "جمع ناعور وهي آلة مائية خشبية تدور بقوة تيار النهر لرفع المياه عبر دلاء أو صناديق مثبتة على محيطها تستعمل في الري وتغذية القنوات، ويُسمع لها صوت مميز عند دورانها..." (الجوهري، 1987، 2/832).

(3) مجريط: "مدينة أندلسية شريفة أسسها الأمير محمد بن عبد الرحمن اشتهرت بحصنها المنيع ومسجدها الجامع، كما عُرفت بتربتها الفريدة التي تُصنع منها البرام المقاومة للنار لعقود طويلة. تعدّ مجريط أصل مدينة مدريد الحالية..." (الحميري، 1980، ص.523)، وتقع مجريط اليوم في وسط إسبانيا، وهي العاصمة الحديثة للمملكة الإسبانية "مدريد".

(4) مُرْسِيَةُ: "مدينة أندلسية من أعمال تدمير أنشأها الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206–238هـ/822–852م)، عُرفت بخصوبة أراضيها وكثرة بساتينها وحدائقها، وبلغت أوج عمرانها في عهد ابن مردنيش حتى غدت قاعدة مهمة من قواعد الأندلس..." (الحموي، 1995، 5/107؛ صديق، 1999، ص ص.90-89).

(5) طلمنكة: "مدينة من ثغور الأندلس، أسسها الأمير محمد بن عبد الرحمن (238–273هـ/852–886م)، تميزت بموقعها العسكري على مقربة من وادي الحجارة، ونُسب إليها عدد من العلماء والمقرئين، ومنهم أحمد بن محمد الطلمنكي.. وكان من المجوّدين في القراءة، وله تصانيف في القراءة، روى الحديث وعمّر حتى جاوز التسعين" (الحموي، 1995، 4/39؛ ابن عبدالحق، 1992، 2/891؛ الحميري، 1980، ص.393).

التكيّف مع المعوقات البيئية وتحويل موارد الطبيعة إلى دعامة أساسية للعمران (النبهان، 2016).

وتميز العمران الأندلسي بقدرة فائقة على تطويع الطبيعة وتسخير معطياتها لخدمة احتياجات الإنسان اليومية والعسكرية على السواء؛ ففي مدينة شَلْطِيش[1] بالأندلس اعتمد المسلمون خلال عصر الموحدين على استغلال الكهوف الصخرية الممتدة في الجبال؛ حيث حُوِّرت إلى مساكن ذات واجهات منظمة تطل على سفوح الوادي، فظهرت البيوت كأنها منحوتة في الجبل. ومع تدرجها على سفوح المرتفعات، ارتبطت هذه المساكن بأنماط خاصة من توزيع الضوء والظل حتى اصطلح على تسميتها بيوت الشمس، وأخرى بيوت الظل تبعًا لموقعها من مسار الشمس، وإلى جانب هذا الطراز السكني الفريد أظهر الأندلسيون براعة هندسية في التحكم بالمياه الجارية عبر تضاريس المنطقة، فقد وُجهت مياه الأمطار والجداول إضافة إلى أحد روافد نهر أشبيلية[2]، ويعرف اليوم بنهر (تريخو) نحو الوادي عبر شبكة من القنوات الصخرية المتدرجة، وقد مرت هذه القنوات أمام المساكن لتزويدها بالماء، في حين خُزن جزء منها في صهاريج صخرية محكمة النحت قبل أن تنساب البقية عبر القناة الرئيسة التي شقت المدينة من أولها إلى آخرها (نوح، 2020).

مجرى النهر بوسط البيوت بمدينة شَلْطِيش والحواجز الحجرية التي تفصل البيوت عن مجرى النهر (نوح، 2020، ص.–61 62).

وتكشف هذه الظاهرة عن الاتصال المباشر بين العمران المائي والعمران السكني؛ حيث تحولت شبكات المياه إلى عنصر مكوّن للمدينة يضمن استمرارية الحياة فيها، ويؤكد في الوقت ذاته على ابتكار الأندلسيين في استغلال الطبيعة الجبلية لتلبية حاجاتهم اليومية والحضارية.

---

(1) شَلْطِيش: "بلدة بالأندلس صغيرة في غربي إشبيلية على البحر..." (الحموي، 1995، 3/ 359)، وتعرف اليوم جزيرة شلطِيش Isla de Saltés، وهي تقع عند مصب نهر أوديل قرب مدينة وِلبة Huelva جنوب غربي إسبانيا.

(2) إشبيلية: من أعظم مدن الأندلس وأشهرها عمرانًا وتجارة، امتازت بأسوارها المنيعة وأسواقها العامرة، وذاع شهرتها خاصة بزيت الزيتون الذي كان يُصدَّر منها برًّا وبحرًا إلى سائر الأقاليم، ويحيط بها إقليم الشَّرَف الممتد أربعين ميلًا تغطيه بساتين الزيتون والتين، وتنتشر فيه آلاف القرى المزدهرة، كما تقوم إشبيلية على ضفاف النهر الكبير المعروف أيضًا بنهر قرطبة؛ مما منحها مكانة اقتصادية رفيعة في تاريخ الأندلس.... (الإدريسي، 1989؛ الحموي، 1995؛ القزويني، د.ت). يوجد هذا النهر ضمن أودية منطقة الأندلس الحالية في جنوب إسبانيا، ويتصل بنهر الوادي الكبير Guadalquivir الذي يخترق مدينة إشبيلية.

وتميزت مدينة غَرْنَاطَةُ[1] بوفرة مواردها المائية؛ إذ يخترقها نهر هَدّارة من الشرق إلى الغرب، بينما يحيط بها نهر شنيل[2] من الجنوب؛ مما جعلها غنية بمصادر المياه الجارية. وقد أبدى العمري إعجابه الشديد بهذه الظاهرة العمرانية، مؤكدًا أن جريان الماء في أرجاء المدينة انعكس كذلك على المساجد التي نالت نصيبًا وافرًا منه، فقد استُخدمت النواعير ومراوح الهواء لرفع المياه إلى الأماكن المرتفعة، ثم جرى توزيعها عبر مجارٍ مخصصة تصل إلى مختلف أحياء المدينة ومساجدها وفي الحالات التي تعذر فيها إيصال مياه الأنهار، لجأ المعماريون إلى حفر الآبار داخل بعض المساجد؛ لضمان استمرار الإمداد المائي طوال العام، خصوصًا في فترات الجفاف أو انخفاض منسوب الأنهار صيفًا. وتظهر أهمية هذه التدابير في الوظائف المتعددة للماء داخل المسجد من وضوء وشرب إلى تنظيف أروقته وغسل فرشه؛ مما يكشف عن وعي معماري متطور بوظائف المياه في خدمة الشعائر الدينية (العمري، 1428؛ السنيدي، 1998).

المبحث الثاني: المنشآت المائية في العمران الأندلسي

شكلت المنشآت المائية في العمران الأندلسي أحد أشهر معالم البراعة الهندسية الإسلامية؛ حيث امتزجت الوظائف العملية بالمقاصد الجمالية والحضارية، وصممت المدن والقصور والمساجد والحدائق بأنظمة متقنة من قنوات ونواعير وصهاريج وقناطر تضمن توزيع المياه واستمراريتها مع مراعاة دقة الانحدار وحساب كميات الجريان واختيار مواد البناء المناسبة، وساعد هذا النظام في تلبية الاحتياجات للشرب والوضوء والنظافة، إضافة إلى دعم النشاط الاقتصادي والزراعي والصناعي وتوظيف الماء في النوافير والبرك والحدائق بشكل يضفي جمالًا على المباني؛ لتصبح العمارة المائية عنصرًا أساسيًا في تشكيل النظام العمراني وربط الوظائف المدنية والدينية والعسكرية، مع إظهار قدرات الأندلسيين في التكيف مع الموارد الطبيعية واستثمارها في خدمة المجتمع.

وقد انعكس هذا الأساس المعرفي على العمارة الأندلسية انعكاسًا جليًّا، فالمهندسون العرب طبقوا نتائج خبراتهم في بناء المدن والقصور والجوامع التي اتسمت بالفخامة والإتقان والمتانة ومن أشهرها مدينة الزهراء[3] وجامعها وقصر الحمراء[4] بما حوته من أنظمة

(1) غرناطة: إحدى أعظم مدن الأندلس وأكثرها حصانة وجمالًا نسبت قديمًا إلى كورة البيرة، وكانت مركزًا عمرانيًا وحضاريًا بارزًا يشقها نهر حدارّة المعروف قديمًا بنهر قلزم، ويخرج منه سواقٍ عمّرت أحياء المدينة بالحمّامات والسقايات والبساتين، كما عُرف باستخراج الذهب من رواسبه، كما يطل عليها جبل الثلج الذي يحتفظ بثلوجه صيفًا ويزخر برياحينه وعقاقيره، ويرجّح أن اسمها مأخوذ من لفظ "الرمانة" بلغة عجم الأندلس في إشارة إلى بهاء طبيعتها وخصب أرضها، وقد كانت لغرناطة مكانة متميزة في العمران والثقافة جعلتها من المدن الأندلسية الكبرى" (الحموي، 1995؛ القزويني، د.ت؛ ابن عبدالحق، 1992). وغرناطة اليوم تقع جنوب شرقي الأندلس في إسبانيا الحديثة عند سفوح جبال سييرا نيفادا Sierra Nevada.

(2) شنّيل: نهر بالأندلس ينبع من جبل شلير الواقع جنوب غرناطة وهو جبل شاهق دائم الثلوج صيفًا وشتاءً مما يجعل مياهه باردة عذبة وذلك لاقترابه من غرناطة؛ إذ لا تفصله عنها سوى عشرة أميال ... (العمري، 1424).

(3) الزهراء: هى مدينة صغيرة شيّدها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة 325هـ غرب مدينة قرطبة، واتخذها مقرًّا ومنتزهًا، وجعل لها من جباية الدولة ثلثًا خاصًا بنفقتها وعمارتها وتميزت بجلال عمرانها وكثرة زخارفها؛ حيث جُلب إليها الرخام من مختلف الأقطار، وتهادت الملوك في إرسال التحف والآلات النفيسة إليها، وقد بلغت تكاليفها أرقامًا هائلة دلّت على بذخ الناصر ومكانة الزهراء السياسية والحضارية حتى غدت مثالًا للتفوق العمراني في الأندلس (الحموي، 1995؛ ابن عبدالحق، 1992؛ الحميري، 1980؛ صديق، 1999).

(4) قصر الحمراء: يعد من أبدع المعالم العمرانية في الأندلس شُيّد على منحدر جبل شلير المطل على غرناطة ومروجها الخصيبة، فجمع بين روعة الموقع وجلال البناء يتميز بأبراجه القرمزية التي تعانق السحاب، فيما تتناثر عند سفوحه البساتين الغنّاء والسواقي الجارية التي أضفت عليه طابعًا بهيجًا، وقد صاغ الشعراء أوصافه بما يليق بمكانته؛ إذ غدا رمزًا للفن الإسلامي في زخارفه البديعة ومثالًا للجمال العمراني الذي جمع بين الطبيعة الخلابة وروح الإبداع المعماري... (غوستاف لوبون، 2012).

مائية ونافورات بديعة، كما ظهر اهتمامهم بهندسة الري؛ إذ كان ضبطه يتطلب إلمامًا بمستوى الأرض وانحدارها وحساب كميات المياه وسرعة جريانها، إلى جانب معرفة مواد البناء وطرق تشييدها وجسدت العمارة المائية مزيجًا من الخبرة الهندسية والفنية الذي ساعد في إظهار معالم الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي (النبهان، 2016).

وتُعَدّ الزخارف بالعمارة المائية في قصر الحمراء من أشهر السمات العمرانية التي تكشف عن التوظيف المزدوج للفن والهندسة في العمارة الأندلسية، فعلى الرغم من أن الزخرفة عُدّت في ظاهرها مظهرًا جماليًا يضفي على المكان طابعًا بديعًا، فإنها ارتبطت بوظائف حضارية فالنوافير مثل نافورة بهو السباع[1] والقباب ذات المقرنصات الدقيقة والحدائق التي ينساب فيها الماء عبر قنوات مخفية أو ظاهرة لم تكن مجرد وسائل للزينة، بل شكلت نظامًا متقنا لتوزيع المياه وإظهار حضورها في قلب العمارة، وقد أكسب هذا التوظيف المائي المباني طابعًا فخمًا يوحي بالخلود والفردوس بما يحمله من رموز دينية واجتماعية؛ إذ ارتبطت بعض العناصر المائية والزخرفية بأساطير ذات جذور شرقية مثل العلاقة بالنبي سليمان –عليه السلام– التي كانت تتردد في العصور الوسطى، وهكذا جسّد قصر الحمراء نموذجًا معماريًا فريدًا (شاخت وبوزورث، 1978).

في عصر ملوك الطوائف ظهرت العمارة المائية بوصفها أحد أهم مظاهر الثراء الفني والدلالات الحضارية للقصر الأندلسي فقد أقام المعتمد بن عباد (461–488هـ/1069–1095م)[2] في إشبيلية قصرًا في غاية الروعة والجمال، لاسيما من حيث الابتكار في توظيف المياه داخل الإنشاء المعماري؛ حيث اشتمل على تمثال لفيل يقذف الماء نحو بركة القصر وتمثال آخر لجمل من البلور تزين عيناه بالياقوت، ومثلت هذه الإبداعات المائية تجسيدًا لفلسفة العمارة الأندلسية التي لم تقتصر على الجانب الانتفاع من الماء، وإنما ارتقت به ليغدو عنصرًا جماليًا ورمزًا حضاريًا يعكس مكانة الحاكم، ويعبر عن رقي الذوق الفني في الأندلس (اليوزبكي، 1981).

وأولت العمارة الأندلسية عناية فائقة بإنشاء المنشآت المائية داخل القلاع والحصون؛ إدراكًا لأهميتها في دعم الوظائف الدفاعية والحياتية على السواء، ومن أشهرها القلعة النصرية بغرناطة؛ حيث ضُمّنت بنيتها العمرانية مواجل حجرية تحت الأبراج الرئيسة شُيّدت بعناية لتعمل كصهاريج محكمة لتخزين المياه، وقد أُنشئت هذه الصهاريج بحيث تؤمّن الإمداد المائي للقلعة في أوقات الحصار والشدائد، وهو ما جعلها مظهرًا استراتيجيًا في نظام الدفاع العسكري، ويكشف الإنشاء المعماري أن هذه المواجل[3] لم تكن مجرد

(1) بهو السباع: يعدّ من أبدع وأشهر أجنحة قصر الحمراء بغرناطة شُيّد في عهد السلطان محمد الخامس الغني بالله (754–793هـ/1354–1391م)، ويمثل ذروة الإبداع الفني في العمارة الإسلامية بالأندلس، يتألف من فناء مستطيل مكشوف تحيط به أروقة ذات عقود رشيقة تستند إلى مائة وأربعة وعشرين عمودًا من الرخام الأبيض تعلوها أربع قباب مضلعة تزيد من جمال المشهد، ويتوسطه الحوض المرمرى الشهير الذي يحمله اثنا عشر أسدًا منحوتًا شكّلوا نافورة فريدة في طرازها، وقد نُقشت على حوضها أبيات شعرية لابن زمرك في مدح الحمراء؛ مما جمع بين العمارة والفن الشعري في لوحة حضارية متكاملة.... (عنان، 1997).

(2) المعتمد بن عباد: هو المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله عباد بن محمد اللخمي، من نسل بني لخم الذين ينتسبون إلى النعمان بن المنذر آخر ملوك الحيرة. تولّى حكم قرطبة وإشبيلية وما جاورهما من بلاد الأندلس وكان أبوه المعتضد من أبرز ملوك بني عباد، ويرجع أصل أسرته إلى المشرق؛ إذ نزح جدّه نعيم وابنه عطاف من العريش وأقاما قرب إشبيلية، ومنها بدأ نفوذ بني عباد في الأندلس.... (ابن خلكان، 1994؛ الذهبي، 2006؛ الصفدي، 2000).

(3) المواجل: يقصد بها الخزانات أو الأحواض الكبيرة التي تُنشأ لتجميع مياه الأمطار والسيول في باطن الأرض أو على سطحها؛ بحيث تُنقل عبر السواقي من الفحوص والتلاع إلى تلك الأحواض، وكانت المواجل ذات أهمية خاصة في الأندلس والمغرب؛ إذ ارتبطت بالطرق ومحطات الرفاق(القوافل) لتأمين حاجتهم من الماء، كما استُخدمت في المساجد والقصور والعمائر العامة لتخزين المياه واستغلالها طوال العام؛ مما جعلها عنصرًا أساسيًا في العمارة المائية الإسلامية...(الجبي، 2005).

فراغات مائية مساندة، بل بُنيت وفق أساليب إنشائية متينة من الطين والحجارة بما يضمن استمرارها ومقاومتها لعوامل الزمن؛ الأمر الذي يوضح تقدّم الأندلسيين في توظيف الهندسة المائية لخدمة العمران العسكري، كما أن ارتباط هذه الصهاريج بالممرات الداخلية للقلعة أتاح سهولة الاستفادة منها عند الحاجة (نوح، 2020).

كما شكّلت القناطر في الأندلس إحدى أشهر المظاهر العمرانية التي ارتبطت بازدهار العمارة المائية وتطوّرها؛ إذ فرضت الطبيعة الجغرافية كثرة الأنهار على المعماري الأندلسي العناية بإنشاء الجسور والقناطر لتيسير العبور ونقل المياه على السواء، وتأتي في مقدمة هذه المنشآت قنطرة قرطبة التي عدّها المؤرخون من عجائب الدنيا في إتقانها ووصفت بأنها "القنطرة العجيبة التي فاقت قناطر الدنيا حسنًا وإتقانًا، وعدد قسيها سبعة عشر قوسًا، كل قوس منها خمسون شبرًا، وبين كل قوسين خمسون شبرًا" (ابن الوردي، 2008، ص. 63؛ محمود مقديش، 1988، 1/158). واشتهرت بضخامة بنائها؛ حيث شُيدت على سبعة عشر عقدًا نصف دائري، وأقيمت على دعامات حجرية ضخمة تتيح تدفق المياه من أسفلها، كما استُخدمت في الوقت نفسه ممرًا رئيسيًا يربط بين ضفتي الوادي الكبير، وقد اعتنى الولاة والأمراء بترميمها وتجديدها منذ العهد الأموي بالأندلس، وفي مقدمتهم الوالي السمح بن مالك الخولاني (ت:103هـ/722م)[1]؛ مما ضمن استمرار وظيفتها العمرانية والحضارية قرونًا طويلة (المعموري، 2021).

وارتبطت القناطر في الأندلس إحدى أشهر المنشآت المائية التي عكست التطور العمراني والقدرة الهندسية للمجتمع الإسلامي بضرورات الحياة اليومية من نقل المياه وتيسير العبور، فضلًا عن أدوارها الحضارية، ومن أهم النقوش التأسيسية المكتشفة نقش يرجع إلى عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238–273هـ/852–886م)[2]، الذي يؤرخ لإحدى القناطر التي ارتبطت بتشييد منشأة مائية جديدة، ويعد بذلك من أقدم النقوش المعروفة المتعلقة بالعمارة المائية في الأندلس (العمير، 2010).

وقد تنوعت القناطر الأندلسية إلى نوعين رئيسين: أولهما القناطر المشيدة على الأنهار للمنفعة العامة كقنطرة قرطبة[3] على نهر الوادي الكبير التي وصفها المقري (1997) بأنها "إحدى أعاجيب الدنيا" (1/480)، والتي قام المسلمون بترميمها بعد الفتح وإعادة

(1) السمح بن مالك الخولاني (ت: 103هـ/722م): هو أحد ولاة الأندلس في صدر الدولة الأموية وولاه الخليفة عمر بن عبدالعزيز اعتناءً بشؤون الأندلس وإفرادًا لها بالولاية بعد أن كانت تابعة لإفريقية، وتميّز بالسعي في ترسيخ العدل والرفق بالرعية، وعُرف بمبادراته العمرانية مثل إعادة بناء قنطرة قرطبة وتنظيم شؤون الأراضي والخراج، وقاد الغزوات ضد الروم، واستشهد في معركة بطرسونة يوم عرفة سنة 102هـ؛ لتطوى بذلك صفحة ولاية قصيرة لم تتجاوز بضع سنين (ابن عميرة، 1967؛ ابن عذارى، 1983؛ الزركلي، 2002).

(2) هو الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي هو ثالث أمراء الدولة الأموية في الأندلس بعد عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الأوسط وُلد وتوفي بقرطبة تولى الحكم سنة 238هـ/852م عقب وفاة أبيه فاستمرت إمارته خمسةً وثلاثين عامًا تميزت بالحزم في مواجهة الثورات الداخلية وكثرة الغزوات ضد الممالك النصرانية في الشمال حتى اشتهر بوقعة وادي سليط التي عدّت من أعظم معارك المسلمين في الأندلس، وعُرف بالفصاحة والعقل والرعاية للرعية وأثنى عليه المؤرخون بوصفه من أيمن ملوك الأندلس وأحسنهم سيرة؛ إذ جمع بين العلم والفقه والبلاغة والسياسة، وقد بسط نفوذه حتى استشارت في أمره الإمارات المستقلة كصاحب سجلماسة وصاحب تاهرت، غير أن أواخر أيامه شهدت ضعفًا نسبيًا بسبب سوء سيرة بعض وزرائه وترك من الأبناء نيفًا وخمسين وتوفي بقرطبة سنة 273هـ/886م... (بامخرمة، 2008؛ الزركلي، 2002).

(3) قرطبة: تعد حاضرة الأندلس وعاصمة الدولة الأموية فيها بلغ اتساعها في أوج ازدهارها ثلاثين ألف ذراع، وكانت محاطة بالأبواب والأسوار المتينة مثل باب القنطرة والباب الجديد وباب عامر، واشتهرت بقصرها الكبير المتصل بالسور وبجامعها الجامع الذي عُدّ من أعظم مساجد الإسلام؛ إذ توسع فيه الخلفاء تباعًا حتى بلغ طوله نحو 330 ذراعًا وعرضه 230 ذراعًا، وكانت قرطبة مقر الحكم ومركز العلم والفكر حتى لُقبت بزهرة مدائن الأندلس... (البكري، 1992).

توظيفها لتسهيل الاتصال بين ضفتي المدينة، وقد تميزت بمتانة البناء ودقة العقود الحجرية التي تقوم على دعائم ضخمة. أما النوع الثاني فتمثل في القناطر المخصصة لنقل المياه؛ حيث اعتمد الأندلسيون على أساليب معمارية محكمة لتشييدها سواء عبر عقود حجرية تحمل القنوات المكشوفة أو من خلال قنوات مغطاة محفورة في باطن الأرض كما في مدينة مجريط (مدريد)؛ حيث شكلت هذه القنوات شبكة محكمة لتوزيع المياه إلى المنازل والبساتين (العمير، 2010).

وارتبطت مدينة إِسْتِجَةُ[1] بموقعها على نهر شنيل؛ مما أتاح لها ازدهارًا عمرانيًا واقتصاديًا تجلى في أسواقها العامرة وبساتينها الغنّاء، وقد كان من أبرز معالمها العمرانية قنطرتها المشيدة بالصخر المنجور التي عُدّت من روائع العمارة المائية في الأندلس؛ إذ جمعت بين المتانة الهندسية والدقة في التنفيذ، فصارت رمزًا لثراء المدينة وازدهارها. إن تشييد هذه القنطرة يعكس بجلاء عناية الأندلسيين بإنشاء الجسور المائية على الأنهار ليس فقط لتأمين العبور بين ضفتيها، بل أيضًا لربط المدينة بمحيطها الزراعي والتجاري بما يضمن انسياب الحياة العمرانية والاقتصادية فيها (الإدريسي، 1989).

وشهدت مدينة إستجة أحداثًا سياسية وعسكرية كان لها أثر مباشر على ملامحها العمرانية، فقد ثار أهلها؛ مما استدعى تدخّل الأمير الأموي عبد الرحمن بن محمد (الناصر) (277–350هـ/891–961م)[2] الذي افتتح المدينة سنة 300هـ/912م على يد قائده بدر[3] (ت:309هـ/ 921م) الحاجب، وقد ترتب على ذلك تدمير بعض منشآتها العمرانية؛ إذ أُزيل سورها وهُدمت قواعده، كما أُسقطت قنطرة نهرها؛ الأمر الذي يعكس مدى تأثر المنشآت المائية والعمرانية بالأحداث السياسية والصراعات الداخلية (الحميري، 1980). وإلى جانب ذلك عُرفت قنطرة جزيرة شُقَر[4] التي أنشئت فوق وادي شُقَر بشرقي الأندلس، وجعلت من الجزيرة مركزًا عمرانيًا، وكان يتوصل الى هذه الجزيرة عبر هذه القنطرة العظيمة التي بنيت من ثلاثة أقواس حسنة الصنعة (الحموي، 1996؛ المعموري،

---

(1) إِسْتِجَةُ: "كورة من كور الأندلس تقع بين أعمال رية وأعمال قرطبة في الجهة الجنوبية الغربية، وتتصل أراضيها الخصبة بنهر سنجل المعروف أيضًا بنهر غرناطة، وتميزت بسعتها وكثرة رستاقها الزراعية؛ مما جعلها ذات أهمية اقتصادية وزراعية بارزة في محيط قرطبة؛ إذ لا يفصلها عنها سوى عشرة فراسخ، وعُرفت إستجة بقدم عمرانها وآثارها، ونُسب إليها عدد من أهل العلم أشهرهم محمد بن ليث الإستجي المحدث الذي ذكره أبو سعيد بن يونس، وتوفي سنة 328هـ/939م....(الحموي، 1996؛ ابن عبدالحق، 1992؛ الحميري، 1980)، وتعرف اليوم باسم Écija وتقع بين مدينتي قرطبة وإشبيلية في إقليم الأندلس بجنوب إسبانيا.

(2) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي المعروف بعبد الرحمن الناصر لدين الله، يُعد أعظم خلفاء بني أمية في الأندلس وأطولهم مدة في الحكم؛ إذ تولى الخلافة بقرطبة يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة 300هـ/912م بعد وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد، واستمرت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام حتى وفاته في رمضان سنة 350هـ/961م، وتميز عهده بالهيبة والسلطان، فبلغت الأندلس في أيامه أوج قوتها السياسية والعسكرية والعمرانية، ورسّخ دعائم الدولة الأموية بالأندلس حتى غدت تضاهي الخلافة العباسية في المشرق... (ابن الأبار، 1985).

(3) هو أبو الغصن بدر بن أحمد الصقلبي كان من الموالي الصقالبة ...حتى بلغ منزلة كبيرة في الدولة وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تولى بدر مناصب متعددة، ثم رُقّي إلى منصب الحجابة، وهو من أعلى مراتب السلطة بعد الخليفة، وعُرف برجاحة عقله وحسن تدبيره للأمور، وظل في مكانته الرفيعة حتى وفاته سنة 309هـ/921م... (عنان، 1997).

(4) جزيرة شُقَر: "من أشهر مناطق شرقي الأندلس تميزت بجمال طبيعتها وكثرة بساتينها ومياهها حتى وُصفت بأنها من أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وبهاء، كانت مقصدًا للمتنزهين والأدباء لما حوته من مناظر طبيعية خلابة وهواء عليل، وقد أقام بها غير واحد من أهل العلم والأدب ومن أشهرهمالأديب أبو عبد الله محمد بن عائشة الأندلسي الذي كان يكثر من الإقامة فيها؛ مما أكسبها مكانة خاصة في الحياة الأدبية بالأندلس...." (الحموي، 1996، 3/354). ويقع وادي شُقَر اليوم ضمن منطقة فالنسيا Valencia شرق إسبانيا، ويُعرف بنهر خوكار Río Júcar.

2021). ومن خلال هذه القناطر يظهر جليًا كيف ساعدت العمارة المائية في الأندلس في خدمة المجتمع العمرانية والحضارية.

كما اشتهرت قنطرة ماردة[1] بكونها مدينة رائعة كثيرة الرخام عالية البنيان (الحموي، 1996)، وهو ما تميزت به من متانة البناء وكثرة أعمدتها الرخامية، فغدت مقصدًا للزائرين وإحدى العلامات العمرانية التي ورثها المسلمون عن العهد القوطي، ثم أعادوا إحياءها وكان في وسط قنطرتها برج محني يسلك تحته من سلك في القنطرة (الحميري، 1980). أما قنطرة بَلَنْسِيَةُ[2] فقد اكتسبت أهميتها في عهد الحاجب المنصور ابن أبي عامر (392–366هـ/1000–976م)[3]؛ حيث شُيدت بمهارة معمارية دقيقة تؤكد خبرة البنائين الأندلسيين (المعموري، 2021).

وتظهر قنطرة دي بينوس (De Pinos) القريبة من مدينة إِلْبِيرَةُ[4] مثالًا آخر على الإبداع الهندسي في هذا المجال؛ إذ جمعت بين الصلابة المعمارية والإتقان في توزيع العقود والدعامات بما يضمن استمرار تدفق المياه واستغلالها، ولاشك أن هذه النماذج المعمارية

(1) ماردة: "مدينة أندلسية شهيرة كانت كورة واسعة متصلة بحوز فريش من أعمال قرطبة وتميزت بموقعها المتميز بين الغرب والجوف. عُرفت بكونها من القواعد المهمة التي اختارها القياصرة والروم للسكنى، واشتهرت بجمال عمارتها ووفرة الرخام فيها وعلو بنيانها، إضافة إلى ما بقي فيها من آثار قديمة بديعة جعلتها مقصدًا للإعجاب، تبعد عن قرطبة مسيرة ستة أيام، وتحيط بها حصون وقرى ذات شأن، وقد نسبت إليها جماعة من أهل العلم والحديث من أشهرهم سليمان بن قريش بن سليمان أبوعبد الله الذي سكن قرطبة بعد أن رحل وسمع الحديث بمكة واليمن وتولى القضاء ببطليوس، ثم استقر بقرطبة وتوفي بها سنة 329هـ/940م..." (الحموي، 1996، 5/38– 39؛ ابن عبدالحق، 1992، 3/1218؛ الحميري، 1980، ص.518).

(2) بَلَنْسِيَةُ: "مدينة أندلسية مشهورة كانت كورة واسعة متصلة بحوزة كورة تدمير تقع إلى الشرق من تدمير وقرطبة وتميزت بكونها برّية بحرية تحيط بها الأشجار والأنهار حتى عُرفت بـ"مدينة التراب" غلب على بساتينها شجر القراسيا الذي انتشر في سهولها وجبالها، كما اشتهرت بزراعة الزعفران في كورها، وتبعد عن تدمير أربعة أيام ومنها إلى طرطوشة مثل ذلك، وتقع على مسافة فرسخ واحد من البحر، وقد تعاقب عليها الروم فاستولوا عليها سنة 487هـ/1094م، ثم استردها المرابطون (الملثمون) قبل قيام دولة الموحّدين بقيادة عبد المؤمن، وتميز أهلها بسمعة طيبة حتى وصفوا بأنهم خير أهل الأندلس، وكانوا يعرفون بـ"عرب الأندلس"...."(الحموي، 1996، 1/490؛ القزويني، د.ت، 513؛ ابن عبدالحق، 1992، 1/220؛ الحميري، 1980، ص.97). وتقع بلنسية على الساحل الشرقي لإسبانيا على شاطئ البحر المتوسط وهي من مدنها الكبرى.

(3) هو المنصور أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن عامر المعافري حاجب الدولة الأموية في الأندلس وأحد أبرز رجالها في القرن الرابع الهجري، أصله من الجزيرة الخضراء ونشأ بقرطبة؛ حيث طلب العلم وبرز في الأدب والحديث حتى بلغ مكانة مميزة مكنته من تولي الحجابة في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله، وعُرف بذكائه وحزمه وقوة شخصيته، فاستقل بتدبير شؤون الدولة، وأقام هيبة الملك حتى دانت له أقاليم الأندلس كلها دون منازع، واشتهر بكثرة غزواته؛ إذ قاد ما يزيد على خمسين حملة ضد الممالك المسيحية الشمالية، وحقق فيها فتوحات واسعة، وكان شديد التمسك بالجهاد حتى أنه أوصى أن يُنثر غبار ثيابه المجمّع من ميادين القتال على كفنه، وتميز عهده بازدهار العمران والعلم، وكان يعقد مجالس للعلماء والأدباء في قرطبة وتوفي بمدينة سالم في أقصى الثغور أثناء عودته من إحدى غزواته سنة 392هـ/1002م بعد أن حكم الأندلس زهاء ربع قرن .... (ابن الفوطي، 1416هـ؛ الصفدي، 2000).

(4) إِلْبِيرَة: كورة واسعة من الأندلس الشرقية تُعرف كذلك بلبيرة أو يلبيرة تقع بين قرطبة وقبره على نحو تسعين ميلًا من قرطبة، واشتهرت بخصوبة أراضيها وكثرة أنهارها وبساتينها، كما تميزت بوفرة المعادن كالذهب والفضة والحديد والنحاس، واشتهرت بحصن "شلوبينية" الذي عُرف بمعدن حجر التوتيا، وكانت إلبيرة مركزًا حضاريًا وعلميًا؛ إذ ازدهرت فيها صناعة الكتّان والحرير، ونُسب إليها جمع من العلماء والفقهاء الذين كان لهم أثر في الحركة العلمية بالأندلس مثل أسد بن عبد الرحمن الإلبيري القاضي وعبد الملك بن حبيب (ت 238هـ) الذي عُرف بغزارة علمه وتأليفه في الفقه والتاريخ والأدب، وقد كانت هذه الكورة من الحواضر العلمية والصناعية المشهورة ... (الحموي، 1996؛ القزويني، د.ت؛ ابن عبدالحق، 1992). وإلبيرة الآن توجد بالقرب من مدينة غرناطة في جنوب إسبانيا.

عكست جانبًا من عناية أمراء الأندلس بالمشروعات المائية، وهو ما يؤكده النقش التأسيسي؛ إذ يكشف عن إشراف مباشر من الأمير محمد بن عبد الرحمن على أعمال التشييد وتولية مهندسين ومعماريين متخصصين لضمان جودة التنفيذ (العمير، 2010).

ويتضح مما سبق أن هذه القناطر لا تقف عند حدودها التقنية فحسب، بل تمتد لتكشف عن دلالاتها الحضارية؛ إذ مثلت القناطر والجسور المائية ركائز أساسية في العمران الأندلسي، وساعدت في ربط أجزاء المدن ببعضها وتأمين موارد المياه، فضلًا عن مساعدتها في تشكيل المشهد المعماري الذي جمع بين الوظيفة العملية والبعد الجمالي.

وارتبطت العمارة الصحية في الأندلس ارتباطًا وثيقًا بالمنشآت المائية؛ إذ حرص البناؤون على اختيار مواقع البيمارستانات بالقرب من الأنهار ومنابع المياه؛ لما لذلك من أهمية قصوى في تأمين الإمدادات المائية الجارية، خاصة أن عنصر الماء كان يُعد أساسيًا في النظافة والعلاج على حد سواء، ويُعد بيمارستان غرناطة مثالًا واضحًا على هذا التوجه، فقد تميز بوجود باحة داخلية تتوسطها بركة عميقة تتغذى من عينين مائيتين نُحتتا في شكل أسدين رابضين، وهو ما يجمع بين الوظيفة العملية والجمالية، كما أُنشئت قنوات داخلية لتوصيل المياه إلى مختلف العنابر والغرف؛ مما يعكس مدى تطور تقنيات إدارة المياه وتوظيفها في خدمة المجال الصحي، ويكشف هذا الجانب أن العمارة المائية في الأندلس لم تقتصر على الجسور والقناطر، بل امتدت إلى المؤسسات الطبية (الجبيلي، 2019).

وأولى الأندلسيون عناية كبيرة بالمنشآت المائية داخل المساجد، ويظهر ذلك واضحا في جامع قرطبة؛ حيث أُقيم جبّ عظيم في صحنه يُعد من أشهر النماذج العمرانية المائية بالأندلس، وقد عُرف هذا الجب باسم "السقاية"، وجرى إصلاحه في عهد الأمير المنذر (275–299هـ/–844 888م) سنة 273هـ/ 886م (ابن عذارى، 1983) قبل أن يُزوّد الحكم الثاني المسجد بالمياه الجارية عبر شبكة من القنوات، كما شُيّد الصهريج القائم تحت الصحن على الأرجح في عصر المنصور بن أبي عامر، وجاء تصميمه المعماري على هيئة بناء مربع ضخم مدعوم بعقود وأكتاف حجرية ومغطى بالجص الملون بحيث يضمن استيعاب كميات كبيرة من المياه، وارتبط هذا الجب بنظام مائي متكامل يجمع بين مياه الأمطار المتساقطة على أسطح المسجد وصحنه وبين قنوات تغذيه من الشبكات الحضرية المحيطة (مالدونادو، 2008).

كما شُيّد جامع قرطبة في طرف المدينة الجنوبي وسط شبكة من الدروب الأندلسية القديمة على مقربة من القنطرة المشيدة فوق نهر الوادي الكبير؛ مما يعكس العناية باختيار موضعه في اتصال مباشر بالمنشآت المائية، فقد أتاح هذا الموقع تيسير الإمداد بالمياه وضمان استمرارية النظافة والشعائر، فضلًا عن إظهار التجانس بين العمارة الدينية والعمارة المائية في الأندلس. وعلى الرغم من التغيرات التي طرأت على الجامع فيما بعد، ظل ارتباطه بالقنطرة والنهر دليلًا على مكانة المياه في تشكيل النظام العمراني بالأندلس (عنان، 1997).

وحظيت الحمامات في الأندلس بمكانة مهمة ضمن الهيكل العمراني حتى غدت من أكثر المنشآت المائية انتشارًا إلى جانب المساجد، وقد أولى أمراء بني أمية في الأندلس عناية خاصة بإنشائها، فازدادت أعدادها مع تزايد الكثافة السكانية في قرطبة حتى بلغ عددها في عصر المنصور بن أبي عامر ما بين سبعمائة وتسعمائة حمام منها ما يقارب ثلاثمائة حمام مخصصة للنساء، ولم تقتصر هذه الظاهرة على قرطبة وحدها، بل امتدت إلى المدن الأندلسية الكبرى كإشبيلية وبلنسية وميورقة وغرناطة وسرقسطة ومرسية وطليطلة وبسطة؛ مما يوضح انتشار هذه المنشآت على نطاق واسع. وقد شُيّدت الحمامات باستخدام حجارة صلبة اختيرت بعناية لتتحمل ضغط المياه ورطوبتها، وهو ما ضمن لها بقاءً طويلًا؛ حيث لا تزال آثار بعضها قائمة حتى بعد سقوط الحكم الإسلامي، ومن أشهر النماذج الباقية حمام الألبيري الذي يكشف عن متانة البناء ودقة الصنعة التي ميّزت العمارة المائية الأندلسية (صديق، 1999).

المبحث الثالث: الأبعاد الحضارية والاجتماعية للعمارة المائية:

حملت العمارة المائية في الأندلس دلالات حضارية واجتماعية متعددة اتضحت في القصور المساجد والحمامات والسقايات؛ حيث لم يقتصر دور الماء على كونه وسيلة للري أو الشرب فحسب، بل امتد ليصبح وسيلة لإظهار الرقي الفني والجمالي وتعزيز البنية

الثقافية للمجتمع، فأنشئت شبكات دقيقة لنقل المياه وتوزيعها داخل القصور والمساجد، وأُدمجت في المسطحات المائية والحدائق والنوافير بما يوضح اهتمام الأندلسيين بالوظائف الفنية والجمالية للماء، كما تكشف الحمامات عن مهارة هندسية في تسخير الماء والحرارة لخدمة الصحة العامة، فيما توضح الميضآت والسقايات داخل المساجد الحرص على النظافة والطهارة المرتبطة بالشعائر الدينية، مع إتاحة الاستفادة منها لجميع أفراد المجتمع، وجسّدت المواجل والآبار دورًا حضاريًا واجتماعيًا أساسيًا سواء داخل المدن أو في الحصون والمساجد؛ لضمان الاستقرار المائي وتوفير الموارد في أوقات الحصار أو نقص المياه.

وأظهرت قُصور قرطبة بما احتوته من منشآت مائية وبساتين غنّاء تمازج الإرث العمراني الأندلسي مع المؤثرات الحضارية من رومانية وقوطية، غير أنّ الأمويين سرعان ما طبعوا هذه العمارة بطابعهم الخاص الذي ارتكز على الإبداع في استخدام الماء كعنصر مهم في تخطيط القصور، فقد أُنشئت شبكات دقيقة لنقل المياه العذبة من جبال قرطبة عبر مواسير فخارية تصل إلى القصر والمسجد الجامع، وهو ما يوضح عناية الخلفاء الأمويين بترسيخ بنية مائية متكاملة تحقق البذخ العمراني وتلبي احتياجات الحياة، ويُذكر أنّ الخليفة الحكم الثاني (350–366هـ/ 961–976م)[1] شيّد مصلى داخل مجلس دار الروضة عُرف من خلال نقوش الأعمدة التي تحمل اسمه؛ مما يكشف عن الجمع بين الوظائف الدينية والرمزية داخل القصر، كما ارتبطت هذه المنشآت بأماكن ترفيهية واجتماعية مثل "الصالون الزهراء". وبذلك فإن قصر قرطبة لم يكن مجرد مقر للحكم، بل كان مقرًا حضاريًا عبّرت من خلاله العمارة المائية عن جوانب اجتماعية وثقافية جمعت بين الوظيفة العملية والأثرية (محمد العدل إبراهيم، 2024).

كما يكشف قصر الحمراء في غرناطة عن مظهر حضاري مميز يتمثل في النقوش الشعرية التي غطّت جدرانه وزخارفه بما في ذلك مكوناته المائية كالنافورات والأحواض، وقد عكس هذا التقليد شغف الأندلسيين بالشعر وعلو مكانته في الحياة الثقافية؛ إذ تحولت العمارة إلى فضاء شعري تلتقي فيه المادة بالفن الجمالي، وتوزعت هذه النقوش في مواضع متعددة من القصر، فامتدت على الأفاريز الداخلية والخارجية، وتجلّت فوق الواجهات والأبواب وفي محيط النافورات، متخذة أشكالًا متنوعة طولية وعرضية أو ضمن دوائر مفصصة محاطة بأشكال هندسية متناسقة. وتكشف هذه الظاهرة عن تداخل واضح بين العمارة المائية والفن الشعري؛ حيث لم تعد النافورات مجرد جزء زخرفي أو إنشائي، بل غدت إشارة جمالية تحمل رسائل أدبية وفنية، ومن خلال هذا التلاحم بين الشعر والماء والعمارة تظهر الدلالة الحضارية التي تؤكد على نظرة الأندلسيين إلى الجمال باعتباره جزءًا من هوية العمران ومصدرًا لإضفاء السمو والروحانية على المباني المعمارية (الدليمي، 2021).

كما ارتبطت الحمامات في الأندلس بدور اجتماعي وحضاري مهم؛ إذ لم تقتصر على الحمامات العامة التي انتشرت في المدن والأحياء، بل امتدت لتشمل الحمامات الخاصة داخل قصور صفوة المجتمع، وهو ما يوضح تأثر الأندلسيين بما عرف في المشرق ولا سيما في الشام ومصر. وعلى الرغم من استلهام الطراز الروماني في بناء الحمامات، فإنها لم تبلغ الضخامة التي ميّزت الحمامات الإمبراطورية الرومانية، بل جاءت أكثر تواضعًا في مساحتها موزعة بصورة منتظمة داخل الأحياء والأرباض وبالقرب من المساجد أو ملحقة بها، وغالبًا ما كانت تخضع لنظام الأوقاف والحبوس بما يكفل استدامة مواردها وخدماتها. ومع تطور عمارة الحمامات

(1) هو الخليفة الأموي المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر(302–366هـ/915–976م) في الأندلس وُلد بقرطبة سنة 302هـ، وتولى الحكم بعد وفاة والده عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة 350هـ، فامتدت خلافته قرابة ستة عشر عامًا، وعُرف بحسن السيرة، كما أولى عناية بالعلم وأهله، فقرّب العلماء، واحتفى بالأدباء والفقهاء، كان مهتمًا بجمع الكتب حتى بلغت مكتبته مئات الآلاف من المجلدات، وجُلبت إليه من مختلف الأقاليم بأثمان باهظة؛ مما جعله من أشهر رعاة الثقافة في تاريخ الأندلس، وامتاز بمعرفة واسعة في الأنساب والأخبار والرجال، وتوفي بالفالج في قصر قرطبة في صفر سنة 366هـ، وخلفه ابنه هشام المؤيد بالله تحت وصاية الحاجب محمد بن أبي عامر (المنصور).... (ابن الفرضي، 1988؛ الذهبي، 2006؛ الصفدي، 2000).

منذ عصر الإمارة، ظهر الحرص على تزويدها بميضآت تيسّر لروادها الانتقال مباشرة إلى أداء الصلاة في المساجد المجاورة، بل إن بعض الحمامات ضمّت أماكن مخصصة للشعائر الدينية، وهو ما أفرز التسمية المزدوجة "المسجد الحّمام" التي تجلّت في عدد من المدن الأندلسية، وواجهت هذه المنشآت عقبات في تأمين المياه، فاعتمدت على مدّ أنابيب من الرصاص لنقل المياه من الأنهار والتجمعات المائية (المواضية، 2017)، وهو ما يوضح البراعة الهندسية للأندلسيين في تسخير الموارد المائية لخدمة متطلبات مظاهر الحضارة العمرانية.

وقد مثّلت الحمامات الأندلسية إحدى أشهر صور العمارة المائية التي جمعت بين الطابع العمراني والدلالات الحضارية والاجتماعية؛ إذ ارتبطت بعادة الاستحمام المتأصلة في الثقافة الإسلامية التي تجمع بين الطهارة الدينية والراحة الجسدية والنقاء الروحي، وقد انتشرت هذه الحمامات بكثرة في المدن الأندلسية، خاصة قرب الجوامع والأسواق؛ لتسهيل التطهر قبل أداء الصلاة، أما من الناحية المعمارية فقد تميزت الحمامات الأندلسية بتقسيمها الداخلي إلى أقسام متدرجة الحرارة تبدأ بـ المسلخ (المنزع) لخلع الثياب، ثم البيت البارد، يليه البيت الوسطاني الذي يُعدّ قلب الحمام المعماري؛ حيث يتوسطه فراغ مقبب تعلوه قبة مضاءة بفتحات نجمية الشكل تُسمى "المقاوي" تسمح بمرور الضوء والهواء، ثم ينتهي بالبيت الساخن الذي يحتوي على الأحواض والصنابير لتزويد المستحمين بالمياه الساخنة والباردة، وقد دُعمت هذه الغرف بأنظمة دقيقة للتهوية والتسخين بواسطة المواقد وغرف مخصصة للخدم؛ مما يدل على براعة هندسية في تسخير الماء والحرارة لخدمة الوظائف الصحية والاجتماعية (عيسى، 2021).

وبذلك لم يقتصر دور الحمام على وظيفته المائية فحسب، بل اكتسب أبعادًا اجتماعية وحضارية؛ إذ غدا ملتقى لعقد المجالس ومجالًا للأنس، واهتم الخاصة والعامة بتزيين جدرانه بالرسوم والزخارف التي تبعث الراحة والسرور؛ مما وضح مكانته في النسيج العمراني والثقافي للأندلس.

كما شكّل الحمام الملكي الذي شيده السلطان أبو الحجاج[1] بقصر الحمراء أحد أبرز الشواهد على تداخل العمارة المائية بالأبعاد الحضارية والاجتماعية في الأندلس، فقد صُمّمت جدرانه الداخلية بكسوة من القيشاني الملوّن، في حين اتخذ سقفه هيئة قبة تتخللها فتحات صغيرة تتيح دخول الضوء وتجديد الهواء، كما أن تخصيص حجرات للمياه الساخنة وتزويدها بوسائل التهوية والإنارة يؤكد إدراك الأندلسيين لأهمية الماء في الراحة والنظافة والحياة الاجتماعية، وتزداد دلالة هذا الحمام ما حدث من العثور على لوحة رخامية تحمل نقشًا شعريًا يتضمن اسم السلطان، وهو ما يعكس الطابع الحضاري الذي أُضفي على المنشآت المائية؛ إذ لم تكن مجرد أماكن للاغتسال، بل لها أبعاد حضارية ارتبطت بالسلطة، وجمعت بين الإبداع المعماري والوظيفة الصحية والثقافية (بلبع، 1969).

لقد مثلت الميضأة في جامع قرطبة مظهرًا من المظاهر الاجتماعية للعمارة المائية بالأندلس؛ إذ شكّلت عنصرًا أساسيًا لتأمين المياه اللازمة للوضوء والنظافة المرتبطة بالشعائر الدينية، وتشير الشواهد الأثرية إلى وجود بقايا حوض وضوء ملتصق بالجانب الشرقي من

(1) هو الناصر بن الأحمر يوسف بن يوسف بن محمد بن يوسف النصري الملقب بأبي الحجاج الناصر أحد ملوك بني الأحمر في غرناطة بالأندلس، كان شاعرًا بارزًا إلى جانب مكانته السياسية، وقرأ العلم هو والشاعر ابن زمرك على بعض شيوخ بني جُزي، وتولى الحكم بعد وفاة أخيه محمد بن يوسف سنة 811هـ بعدما كان قد أُبعد عن ولاية العهد وسُجن أربعة عشر عامًا في قلعة شَلبونية، وعُرف عهده بعقد الهدنات المتكررة مع قشتالة؛ إذ اضطر بعد هزيمة سنة 815هـ إلى تجديد الصلح معهم، وواجه منازعات مع السلطان المريني عثمان بن أحمد بالمغرب، غير أن وفاته حالت دون تفاقم النزاع، وامتد حكمه تسعة أعوام اتسمت بالاستقرار النسبي، وأضفت على تاريخ مملكة غرناطة صفحة مشرقة، وترك ديوانًا شعريًا عُرف لاحقًا باسم "ديوان ملك غرناطة"... (الزركلي، 2002).

بيت الصلاة القديم، وهو ما نسبه مؤرخو الفن الأندلسي إلى الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (172–180هـ/788–796م[1]، غير أنّ الشواهد التاريخية ومنها رواية ابن بشكوال تشير إلى أنّ الحكم المستنصر أولى عناية خاصة بمرافق المياه في جامع قرطبة؛ إذ عمد إلى هدم الميضأة القديمة التي كانت تُزود من بئر السانية، وأقام بدلًا منها أربع ميضآت كبرى وُزعت على جانبي الجامع الشرقي والغربي، خُصصت اثنتان منها للرجال، وأخريان للنساء، وقد جرى تزويد هذه المنشآت المائية عبر قناة ممتدة من سفح جبل قرطبة لتصب مياهها العذبة في أحواض من الرخام بحيث لا ينقطع جريانها ليلًا ونهارًا؛ بما وفر للمصلين مصدرًا دائمًا للنظافة والطهارة. ولم يقف الأمر عند حدود الجامع، بل امتد الفضل المائي إلى سقايات أقيمت على أبوابه من جهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية لتخدم المارة وأهل المدينة، وقد أُنشئت هذه السقايات من أحواض رخامية ضخمة استُقطعت من مقطع المنستير بسفح جبل قرطبة؛ حيث عمل الرخّامون على نحتها بعناية فائقة حتى بدت في صورة بديعة تسرّ الناظرين (المقري، 1997).

ويكشف هذا الأثر عن المظهر الاجتماعي في العمارة المائية بالأندلس؛ إذ لم يكن الهدف مقصورًا على خدمة رواد الجامع فقط، وإنما امتد للجوانب الحضارية التي قوامها توفير الماء للناس كافة وتجسيدًا للجماليات الفنية في تفاصيل البناء. وهكذا جمعت ميضآت جامع قرطبة بين الدور الاجتماعي في رعاية حاجات المجتمع والدور الحضاري المتمثل في إظهار قيمة الماء كعنصر من عناصر العمران الإسلامي المتكامل.

وشكّلت المواجل والآبار عنصرًا أساسيًا في العمارة المائية بالأندلس؛ إذ لم تقتصر أهميتها على نظامها الوظيفي المرتبط بتخزين المياه، بل تعدّت ذلك لتكشف عن الدور الحضاري بأهمية الماء في استقرار العمران وصموده، فعلى الرغم من أنّها لم تكن حكرًا على العمارة المحصّنة، فإن وجودها داخل الأسوار والحصون والمساجد كان ضرورة قصوى لضمان توفير احتياطيات مائية دائمة، خاصة في أوقات الحصار أو الاضطرابات حين يُقطع المورد المائي الرئيسي (عجلان، 2023).

وقد اكتسبت هذه المنشآت دورًا اجتماعيًا وحضاريًا مهمًا في المدن الأندلسية؛ إذ احتضنت المساجد الكبرى مواجل ضخمة ومرتبطة مباشرة بالصحن أو بيوت الصلاة لتخزين مياه الأمطار التي تُجمع عبر الميازيب من الأسطح وتُحفظ في خزانات تحت الأرض، وكانت هذه المياه تُستعمل في الوضوء والاغتسال، فضلًا عن كونها موردًا مهمًا عند التحصن داخل المسجد؛ مما حوّل الجامع إلى مركز يجمع بين العبادة والدور الدفاعي والاجتماعي ومثال ذلك جامع إشبيلية؛ حيث شُيّدت مواجل ذات طابع هندسي محكم لتخزين المياه لفترات طويلة وضمان نقائها، وانعكست طبيعة الوظيفة على عمارة المواجل، فجاءت ضخمة السعة متينة البناء محكمة الجدران المكسوة بمادة "الصاروج" التي تعزل المياه وتحول دون اختلاطها بالتربة، كما أُغلقت فوهاتها بخرزات حجرية أو رخامية لمنع تسرب الشوائب، واحتوت على فتحات خاصة تتيح تنظيفها دوريًا. وبذلك ضمنت هذه التقنية حفظ المياه صالحة للشرب والاستخدام طوال العام (عجلان، 2023).

ويتضح من ذلك أنّ المواجل والآبار لم تكن مجرد منشآت خزن مائي، بل حملت دلالات حضارية واجتماعية؛ حيث ساهمت في تحقيق الأمن المائي للمجتمع، ورسخت مكانة المساجد بوصفها مراكز جامعة لوظائف دينية ومدنية وعسكرية، كما عكست قدرة الأندلسيين على ابتكار حلول معمارية مائية تتلاءم مع ندرة الأنهار واعتمادهم على مياه الأمطار.

(1) هو أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ثاني ملوك الدولة الأموية في الأندلس، وُلد بقرطبة وأسند إليه أبوه ولاية ماردة قبل أن تتم له البيعة بعد وفاة والده سنة 172هـ/788م، عُرف بالحزم والشجاعة وحسن السياسة، كما أولى شؤون الرعية عناية خاصة؛ إذ كان يوفد من يتفقد سيرة عمّاله في الأقاليم، وأحبّه الناس لعدله وشُبّه بعمر بن عبد العزيز في ورعه وإصلاحاته، واهتم بالعمران، فأنشأ عددًا من المساجد، وأتم بناء جامع قرطبة الكبير الذي بدأه والده، واستمر حكمه حتى وفاته بقرطبة سنة 180هـ/796م.... (الزركلي، 2002).

الخاتمة

بعدما تقدم من عرض لموضوع العمارة المائية بالأندلس مظاهرها العمرانية ودلالاتها الحضارية، خرجنا بعدد من النتائج وهي:

1. أكدت الدراسة أن العمارة المائية في الأندلس لم تكن مجرد منشآت خدمية، بل شكلت نظامًا معماريًا يعكس تقدمًا حضاريًا في إدارة الموارد المائية وتوظيفها لخدمة العمران والمجتمع.
2. أظهرت الدراسة أن تنوع أنماط المنشآت المائية من قناطر وسواقٍ وأحواض وعيون ارتبط بتعدد الوظائف العمرانية؛ حيث جمعت بين الجانب الإنشائي البحت والدلالة الحضارية التي عززت قيم الجمال والنظام.
3. بيّنت الدراسة أن العمارة المائية جسّدت تفاعلًا خلاقًا بين المعرفة الهندسية والخبرة البيئية؛ إذ تكيفت مع تضاريس الأندلس ومناخها؛ مما يعكس مدى قدرة التجربة الأندلسية في استثمار الطبيعة وتسخيرها.
4. أوضحت الدراسة أن هذه المنشآت كانت شاهدة على قوة الدولة وهيبتها؛ إذ ارتبط إنشاؤها برعاية الحكام والأمراء الذين جعلوا منها وسيلة لإظهار شرعيتهم السياسية وحضورهم الحضاري بين الأمم.
5. كشفت الدراسة أن العمارة المائية في الأندلس ساعدت في ازدهار الحياة الاقتصادية؛ حيث ارتبطت بالزراعة والري وتنشيط الحرف والصناعات، فكانت ركيزة أساسية للعمران وتطور المجتمع.
6. بيّنت الدراسة أن الطابع الجمالي لتلك المنشآت من خلال الزخارف والنقوش والتفوق المعماري يظهر تجانس النظام الفني مع الوظيفة العملية بما جعلها معالم حضارية أكثر من كونها مرافق مائية فقط.
7. أكدت الدراسة أن العمارة المائية شكلت جزءًا من المشهد العمراني العام، وساعدت في إظهار هوية الأندلس المتميزة؛ حيث اندمجت مع المساجد والقصور والأسواق لتكوّن صورة حضارية متكاملة.
8. خلصت الدراسة إلى أن العمارة المائية بالأندلس تعد تجسيدًا للتمازج بين العمران والحضارة؛ إذ مثّلت بُعدًا دالًا على عبقرية المسلم الأندلسي في الجمع بين الاستفادة من البناء ودلالات المعنى الحضاري.

المراجع:

إبراهيم، محمد. (2024). العمارة الأندلسية القرطبية في رؤى الاستشراق الإسباني: باسيليو بابون مالدونادو نموذجًا. *مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، (2)*، 37، 1620–1696.

الإدريسي، محمد بن محمد. (1409هـ). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. (ط.1). عالم الكتب.

ابن الأبار، محمد بن عبد الله. (1985م). *الحلة السيراء*. تحقيق حسين مؤنس. (ط.2). دار المعارف.

بامخرمة، الطيب بن عبد الله. (2008). *قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر* . تحقيق بو جمعة مكري وخالد زواري. (ط.1). جدة: دار المنهاج.

البكري، عبد الله. (1992). *المسالك والممالك*. (ط.1). دار الغرب الإسلامي.

بلبع، محمد توفيق. (1969). غرناطة وقصر الحمراء: مقدمة في تاريخ المدينة والأهمية المعمارية للقصر. *المجلة التاريخية المصرية، الجمعية التاريخية المصرية، (16)*، 67–99.

الجبي. (2005). *شرح غريب ألفاظ المدونة*. تحقيق محمد محفوظ. (ط.2). دار الغرب الإسلامي.

الجبيلي، علياء يحيي. (2019). الطب والمستشفيات في بلاد الأندلس في فترة الحكم الإسلامي. *مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، (1)*، 19، 229–266.

الجوهري، إسماعيل. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. (ط.4). دار العلم للملايين.

الحموي، ياقوت. (1995). *معجم البلدان* (ط.2). دار صادر.

الحميري، محمد بن عبد الله. (1980). *الروض المعطار في خبر الأقطار* . تحقيق إحسان عباس. (ط.2). مؤسسة ناصر للثقافة.

ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1994). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق إحسان عباس. (ط.1). دار صادر.

الدليمي، لطيف خلف. (2021). العمارة المدنية في سرقسطة في عصر ملوك الطوائف 481–422هـ. *مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية. كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار، 2*، 128– 149.

الذهبي، محمد بن أحمد. (2006). *سير أعلام النبلاء*. دار الحديث.

الزركلي، خير الدين بن محمود. (2002). *الأعلام*. (ط.15). دار العلم للملايين.

السنيدي، صالح محمد راشد. (1998). المساجد في غرناطة (دراسة تاريخية) (92–897هـ/711–1492م). *مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، 21*، 414–469.

شاخت، جوزيف؛ بوزورث، كليفورد. (1978). *تراث الإسلام*. ترجمة محمد زهير السمهوري وحسين مؤنس وإحسان صدقي العمد. تحقيق شاكر مصطفى. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

صديق، فاروق علي. (1999). *المظاهر العمرانية في الأندلس أيام الأمويين (138–422هـ/756–1031م)*. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الإسلامية.

الصفدي، خليل بن أيبك. (2000). *الوافي بالوفيات*. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث.

ابن عبدالحق، عبد المؤمن. (1412هـ). *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*. (ط.1). دار الجيل.

عجلان، عامر. (2023). *ملامح معمارية دفاعية بعمارة المساجد المغربية والاندلسية. المجلة العلمية لكلية الآداب. جامعة أسيوط*. 88، 1341-1406.

ابن عذارى، محمد بن محمد. (1983). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*. تحقيق ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال. (ط.3). دار الثقافة.

العلي، صالح أحمد. (1974). دراسة العلوم الرياضية ومكانتها في الحضارة الإسلامية. *مجلة المورد، العراق*، (3)، 4، 34-46.

العمري، أحمد بن يحيى. (1423هـ). *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*. (ط.1). المجمع الثقافي.

العمير، عبدالله إبراهيم. (2010). نقش تأسيسي جديد لقنطرة باسم الأمير محمد بن عبدالرحمن "الأوسط" بالأندلس (238-273هـ/852-886). *مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، 21*.

ابن عميرة، أحمد بن يحيى. (1967). *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*. دار الكاتب العربي.

عنان، محمد عبدالله. (1997). *دولة الإسلام في الأندلس*. (ط4). مكتبة الخانجي.

عيسى، فوزي سعد. (2021). الفن الإسلامي في الأندلس: آثاره وقيمه التراثية. *مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية. كلية الآداب. جامعة المنوفية، 23*، 1-36.

ابن الفرضي، عبد الله بن محمد. (1988). *تاريخ علماء الأندلس*. تحقيق عزت العطار الحسيني. (ط.2). مكتبة الخانجي.

ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد. (1416هـ). *مجمع الآداب في معجم الألقاب*. تحقيق محمد الكاظم. (ط.1). مؤسسة الطباعة والنشر.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (1984). *المعاني الكبير في أبيات المعاني*. تحقيق سالم الكرنكوي. (ط.1). دار الكتب العلمية.

القزويني، زكريا بن محمد. (د.ت). *آثار البلاد وأخبار العباد*. دار صادر.

لوبون، غوستاف. (2012). *حضارة العرب*. ترجمة عادل زعيتر. مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة.

مالدونادو، باسيليون. (2008). *العمارة الأندلسية: عمارة المياه*. ترجمة علي إبراهيم علي منوفي. مكتبة زهراء الشرق.

المعموري، محمد عبدالله. (2021). العمارة الإسلامية في الأندلس في كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين (91-710هـ/897-1492م). *مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإسلامية، جامعة بابل، (28)*، 2، 1- 18.

مقديش، محمود. (1988). *نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار*. تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ. (ط.1). دار الغرب الاسلامي.

المقري، أحمد بن محمد. (1997). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. تحقيق إحسان عباس. (ط.1). دار صادر.

المواضية، هيام سميح. (2017). *العمارة في الأندلس في عهد عبدالرحمن بن معاوية (138-172هـ/756-788م)*. (رسالة دكتوراة غير منشورة)، جامعة مؤتة، عمادة الدراسات العليا.

النبهان، يعرب. (2016). حضارة العرب في تطور العمران وهندسة البناء بالأندلس. *المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، (26)*، 50.

نوح، عبدالله علي. (2020). شيطيل: المدينة التي بناها المسلمون في الأندلس تحت الصخور. *مجلة مدارات تاريخية*، مركز المدار

المعرفي للأبحاث والدراسات، *4*، 46–72.

ابن الوردي، عمر بن المظفر. (2008). *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*. تحقيق أنور محمود زناتي. (ط.1). مكتبة الثقافة الإسلامية.

اليوزبكي، توفيق سلطان عبدالرحمن. (1981). الحضارة العربية في الأندلس وأثرها في أوروبا. *مجلة آداب الرافدين*، *13*، 67–97.

Arabic references:

Ibrāhīm, Muḥammad. (2024). *al-'Imārah al-Andalusīyah al-Qurṭubīyah fī Ru'á al-istishrāq al-Isbānī : bāsylyw Bābūn māldwnādw namūdhajan, Majallat Kullīyat al-lughah al-'Arabīyah b'ytāy al-bārūd, Jāmi'at al-Azhar, (2)*, 37, 1620-1696.

al-Idrīsī, Muḥammad ibn Muḥammad. (1409H*). Nuzhat al-mushtāq fī ikhtirāq al-Āfāq (Ṭ1)*. 'Ālam al-Kutub.

Ibn al-Abbār, Muḥammad ibn 'Abd Allāh. (1985m). *al-Ḥillah al-siyarā'. taḥqīq Ḥusayn Mu'nis, taḥqīq*. (ṭ2). Dār al-Ma'ārif.

Bāmakhramah, al-Ṭayyib ibn 'Abd Allāh. (2008). *Qilādat al-naḥr fī wafayāt a'yān al-dahr. taḥqīq Bū Jum'ah Mukrī, Khālid Zawārī*. (Ṭ1Dār al-Minhāj.

al-Bakrī, 'Abd Allāh. (1992*). al-masālik wa-al-mamālik*. (Ṭ. 1). Dār al-Gharb al-Islāmī

Balba', Muḥammad Tawfīq (1969). *Gharnāṭah wa-qaṣr al-Ḥamrā'* : muqaddimah fī Tārīkh al-Madīnah wa-al-ahammīyah al-mi'mārīyah llqṣr, al-Majallah al-tārīkhīyah al-Miṣrīyah, al-Jam'īyah al-tārīkhīyah al-Miṣrīyah, (16),67-99.

al-Jubbī. (2005). *sharḥ Gharīb alfāẓ al-Mudawwanah*. taḥqīq Muḥammad Maḥfūẓ. (ṭ2). Bayrūt : Dār al-Gharb al-Islāmī.

al-Jubaylī, 'Alyā' Yaḥyá (2019*). al-ṭibb wālmstshfyāt fī bilād al-Andalus fī fatrat al-ḥukm al-Islāmī, Majallat al-Dirāsāt al-Insānīyah wa-al-adabīyah, Kullīyat al-Ādāb, Jāmi'at Kafr al-Shaykh, (1*), 19, 229-266.

al-Jawharī, Ismā'īl. (1987). *al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-'Arabīyah*. taḥqīq Aḥmad 'Abd al-Ghafūr 'Aṭṭār. (ṭ4). Dār al-'Ilm lil-Malāyīn.

al-Ḥamawī, Yāqūt. (1995). Mu'jam al-buldān (ṭ2). Dār Ṣādir.

al-Ḥimyarī, Muḥammad ibn 'Abd Allāh. (1980). *al-Rawḍ alm'ṭār fī khabar al-aqṭār*. taḥqīq Iḥsān 'Abbās. (ṭ2). Mu'assasat Nāṣir lil-Thaqāfah.

Ibn Khallikān, Aḥmad ibn Muḥammad. (1994). *wafayāt al-a'yān w'nbā' abnā' al-Zamān*. taḥqīq Iḥsān 'Abbās. (Ṭ1). Dār Ṣādir.

al-Dulaymī, Laṭīf Khalaf. (2021). *al-'Imārah al-madanīyah fī srqsṭh fī 'aṣr mulūk alṭwā'f481-422h. Majallat Jāmi'at alānbār lil-'Ulūm al-Insānīyah. Kullīyat al-Tarbiyah lil-'Ulūm al-Insānīyah, Jāmi'at alānbār*, 2, 128-149.

al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad. (2006). *Siyar A'lām al-nubalā'*. Dār al-ḥadīth.

al-Ziriklī, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd. (2002). *al-I'lām*. (ṭ15). Dār al-'Ilm lil-Malāyīn.

al-Sunaydī, Ṣāliḥ Muḥammad Rāshid (1998). *al-masājid fī Gharnāṭah (dirāsah tārīkhīyah)* (92-897h / 711-1492m). *Majallat Jāmi'at al-Imām Muḥammad ibn Sa'ūd, Jāmi'at al-Imām Muḥammad ibn Sa'ūd, 'Imādat al-Baḥth al-'Ilmī*, 21, 414-469.

Shākht, Jūzīf ; bwzwrth, klyfwrd. (1978). *Turāth al-Islām. tarjamat Muḥammad Zuhayr al-Samhūrī, Ḥusayn Mu'nis, Iḥsān Ṣidqī al-'Amad*. taḥqīq Shākir Muṣṭafá. al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb.

Ṣiddīq, Fārūq 'Alī. (1999*). al-Maẓāhir al-'umrānīyah fī al-Andalus Ayyām al-Umawīyīn (138-422h / 756-1031m)*, Risālat mājistīr ghayr manshūrah. Jāmi'at Umm Durmān al-Islāmīyah.

al-Ṣafadī, Khalīl ibn Aybak. (2000). *al-Wāfī bi-al-Wafayāt. taḥqīq Aḥmad al-Arnā'ūṭ wtrky Muṣṭafa*. Dār Iḥyā' al-Turāth.

Ibn 'bdālḥq, 'Abd al-Mu'min. (1412h). *Marāṣid al-iṭṭilā' 'alá Asmā' al-amkinah wa-al-Biqā' (*Ṭ1). Dār al-Jīl.

'Ajlān, 'Āmir (2023). *Malāmiḥ mi'mārīyah dfā'yh b'mārh al-masājid al-Maghribīyah wālāndlsyh. al-Majallah al-'Ilmīyah li-Kullīyat al-Ādāb*,. Jāmi'at Asyūṭ. 88,1341-1406.

Ibn 'dhārá, Muḥammad ibn Muḥammad. (1983). *al-Bayān al-Maghrib fī Akhbār al-Andalus wa-al-Maghrib*, (J. S. kwlān, i. Līfī Brūfinsāl, taḥqīq ; ṭ3). Dār al-Thaqāfah.

al-'Alī, Ṣāliḥ Aḥmad. *dirāsah al-'Ulūm al-riyāḍīyah wa-makānatuhā fī al-Ḥaḍārah al-Islāmīyah, Majallat al-Mawrid, al-'Irāq. (3)*, 4, 34-46.

al-'Umarī, Aḥmad ibn Yaḥyá. (1423h). *Masālik al-abṣār fī mamālik al-amṣār*. (Ṭ1). Abū Ẓaby : al-Majma' al-Thaqāfī.

al-'Umayr, Allāh Ibrāhīm. (2010*). naqsh ta'sīsī jadīd lqnṭrh bi-ism al-Amīr Muḥammad ibn 'Abd-al-Raḥmān "al-Awsaṭ" bi-al-Andalus (238-273h / 852-886), Markaz 'Abd-al-Raḥmān al-Sudayrī al-Thaqāfī*, 21.

Ibn 'Umayrah, Aḥmad ibn Yaḥyá. (1967). *Bughyat al-multamis fī Tārīkh rijāl ahl al-Andalus*. Dār al-Kātib al-'Arabī.

'Inān, Muḥammad Allāh. (1997). *Dawlat al-Islām fī al-Andalus*. (ṭ4). Maktabat al-Khānjī.

'Īsá, Fawzī Sa'd. (2021). *al-fann al-Islāmī fī al-Andalus : āthāruh wa-qiyamih al-turāthīyah. Majallat Markaz al-khidmah lil-Istishārāt al-baḥthīyah*. Kullīyat al-Ādāb. Jāmi'at al-Minūfīyah, 23, 1-36.

Ibn al-Faraḍī, 'Abd Allāh ibn Muḥammad. (1988). *Tārīkh 'ulamā' al-Andalus. taḥqīq 'Izzat al-'Aṭṭār al-Ḥusaynī*. (ṭ2). Maktabat al-Khānjī.

Ibn Qutaybah, 'Abd Allāh ibn Muslim. (1984). *al-ma'ānī al-kabīr fī abyāt al-ma'ānī*. taḥqīq D. Sālim alkrnkwy. (Ṭ1). Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

al-Qazwīnī, Zakarīyā ibn Muḥammad. (D. ṭ*). Āthār al-bilād wa-akhbār al-'ibād*. Dār Ṣādir.

Lūbūn, Ghūstāf. (2012). *Ḥaḍārat al-'Arab. tarjamat 'Ādil Zu'aytir*. Mu'assasat Hindāwī lil-Nashr wa-al-Thaqāfah.

Māldwnādw, bāsylywn. (2008). *al-'Imārah al-Andalusīyah : 'Imārah al-miyāh*. tarjamat 'Alī Ibrāhīm 'Alī Munūfī. Maktabat Zahrā' al-Sharq.

al-Ma'mūrī, Muḥammad Allāh. (2021). *al-'Imārah al-Islāmīyah fī al-Andalus fī kutub al-jughrāfīyīn wa-al-raḥḥālah al-Muslimīn (91-710h / 897-1492m). Majallat al-'Ulūm al-Insānīyah, Kullīyat al-Tarbiyah lil-'Ulūm al-Islāmīyah, Jāmi'at Bābil, (28)*, 2, 1- 18.

Mqdysh, Maḥmūd. (1988). *Nuzhat al-anẓār fī 'Ajā'ib al-tawārīkh wa-al-akhbār. taḥqīq 'Alī al-Zawārī, Muḥammad Maḥfūẓ*. (Ṭ1). Dār al-Gharb al-Islāmī.

al-Muqrī, Aḥmad ibn Muḥammad. (1997). *Nafḥ al-Ṭayyib min Ghuṣn al-Andalus al-raṭīb. taḥqīq Iḥsān 'Abbās*. (Ṭ1). Dār Ṣādir.

Almwāḍyh, Hiyām Samīḥ. (2017). *al-'Imārah fī al-Andalus fī 'ahd 'Abd-al-Raḥmān ibn Mu'āwiyah (138-172h / 756-788m)*, *Risālat duktūrāh ghayr manshūrah*. Jāmi'at Mu'tah. 'Imādat al-Dirāsāt al-'Ulyā.

al-Nabhān, Ya'rub. (2016). *Ḥaḍārat al-'Arab fī Taṭawwur al-'umrān wa-handasat al-binā' bi-al-Andalus, al-Markaz al-'Arabī lil-Ta'rīb wa-al-Tarjamah wa-al-Ta'līf wa-al-Nashr, (26)*, 50.

Nūḥ, Allāh 'Alī. (2020). *shyṭyl : al-Madīnah allatī banāhā al-Muslimūn fī al-Andalus taḥta al-Ṣukhūr. Majallat Madārāt tārīkhīyah, Markaz al-Madār al-ma'rifī lil-Abḥāth wa-al-Dirāsāt*., 4, 46-72.

Ibn al-Wardī, 'Umar ibn al-Muẓaffar. (2008*). Kharīdat al-'ajā'ib wa-faridat al-gharā'ib. taḥqīq Anwar Maḥmūd Zanātī*. (Ṭ1). Maktabat al-Thaqāfah al-Islāmīyah.

al-Yūzbakī, Tawfīq Sulṭān ʻAbd-al-Raḥmān. (1981). *al-Ḥaḍārah al-ʻArabīyah fī al-Andalus wa-atharuhā fī Ūrūbbā. Majallat ādāb al-Rāfidayn,* ʻ13, 67-97.

معلومات عن الباحث

أ.د منى حسين القحطاني، أستاذ التاريخ الإسلامي في قسم التاريخ، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، (المملكة العربية السعودية). حاصلة على درجة الدكتوراة في الفلسفة (التاريخ الإسلامي) من جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن عام 1430/2009هـ، تدور اهتماماتها البحثية حول قضايا المرأة المسلمة والحضارة الإسلامية والرحلات والتراث الوطني.

Biographical Statement

Prof. Muna bint Hussein Al-Qahtani is a Full Professor of Islamic History in the Department of History, College of Humanities and Social Sciences, Princess Nourah bint Abdulrahman University, Kingdom of Saudi Arabia. Prof. Al-Qahtani received her PhD degree in Philosophy (Islamic History) in 1430/2009 AH from Princess Nourah bint Abdulrahman University. Her research interests include issues related to Muslim women, Islamic civilization, travel literature, and national heritage.